مَفهومُ الجَمالِ

في الزُخرُفةَ الأسلامِيَةِ

(فكر الغزالي أنموذجاً)

بحث أعده

حازم عبودي كريم

معهد اعداد المعلمين الصبا حي/ كربلاء

٢٠١١/٢٠١٠

المقدمة

تعد صناعة العناصر الزخرفية الإسلامية ،إحدى الصناعات الحرفية المهمة في بلدان العالم الاسلامي والعالم الغربي ،لاسيما ماتحققه في تجسيد الواقع الإدراكي لمعنى الفكر الاسلامي وتطبيقاته،إذ تعتمد بالدرجة الاولى على حرفية اليد ثم حرفية الماكنة ،وتهيئة التصاميم المناسبة في العديد من الفنون ومنها العمارة والتشكيل الفني،إذ يعتمد بدوره على مهارة المصمم، في انتقاء عناصره الزخرفية بشكل سليم ومدروس دراسة علمية ومنطقية لتحقق الرصانة والتأثير الجمالي والوظيفي المؤثر في المتلقي لأنه المتذوق الأول.

لقد إعتمدت الزخرفة منذ بداية النشأة على بنائية عناصرها ،بأساليب متنوعة كانت لها السمة المميزة في دول المغرب العربي والمشرق أيضا، من هنا جاءت محاولات المصممين والأكاديميين التخصصين في مجال التصميم لتحقيق طراز خاص بهم ومتميز يحمل الهوية والخصوصية لتأريخ المنطقة والبيئة، إذ يرتبط بالمرجعيات الثقافية والفكرية والحضارية ،لتكون علامة فارقة في إنموذج الزخرفة.

كما تأتي أهمية البحث في إعلان العلاقة بين الفكر الجمالي لدى (الغزالي) كإنموذج فلسفي اسلامي ، ومحاولة تطبيق بعض من أفكار الفلسفة على ماهو حاصل في الفن ومنه(الأرابسك)الذي يعنى بتصاميم على الآجر المعماري ،من خلال تسليط الضوء على آلية توظيف الفكر الإسلامي في إنتاج الزخارف،ليعكس الجانب الحضاري والمشرق للإسلام وفنانيه عبر انتقاء الزخرفة والعناصر الفنية الاخرى.

يقع البحث في مبحثين توزع الاول بمحورين أكاديمي وإجرائي ،إتجه الأول الى التعريف بفكر الفيلسوف ،والثاني في رسم إنموذج الزخرفة وفق جانبها الفني بدراسة توضيحية لأسس التصميم ،مع بيان أهمية الأسس ،في تنظيم العناصر بإسلوب تقني ،وأخيراً بيان النتائج والمقترحات ثم قائمة بالمصادر. والله ولي التوفيق

المبحث الأول
الفلسفة في فكر الغزالي

(بسمِ اللهِ الرحمن الرحيم إنما مَثَلُ الحياةِ الدنيا كَماءٍ أنزلناهُ مِنَ السَماءِ فَإختَلَطَ بهِ نباتُ الارضَ مما يأكلُ الناسُ والأنعامَ حتى إذا أَخذَتِ الأرضُ زُخْرُفُها وإزيَنَت ْ وَظَنَ أهلُها أنَهُمْ قادرونَ عليها أَتاها أمرُنا لَيلاً أَو نهاراً فَجَعلناها حَصيداً كأَن لَمْ تُغنِ بالأَمسِ كَذلِكَ نُفَصِلُ الآياتِ لِقَومٍ يتفكرونِ صدقَ اللهُ العظيم جزء١١ سورة يونس الآية ٢٤).

ليست كل الموضوعات قابلة للإدراك إدراكا مباشرا ،وفي هذه الحالة تستدعي طريق الشك لإقامة معرفة أولية قوامها الحدس ،ذلك ان استدعاؤها يتطلب البحث واستحضارها الى عالم الوجود بوساطة الرؤية الى مابعد الطبيعة والتخطي الى الجوهر وعلة الأشياء ،فالمعرفة الحدسية هي الاجدر بكشف الحقائق حين تقتصر المدركات الحسية على بلوغ الحقائق العلمية والمطلقة واستحضار ماهو غيبي وتكوين الصورة الذهنية الشاملة عن طريق العلامات الدالة التي يمكنها ان تستحضر الموضوعات ،حتى تنقلها من عالم الغيب أو اللامرئي الى حالة الحضور والمرئي .

الغزالي هو ابو حامد بن محمد بن احمد ولد في سنة(٤٥٠ للهجرة،وكنيته أبو حامد الغزالي ،ذلك لولادته في قرية (غزالة) التي نسب اليها ،وهناك رأي ثان في نسبه الى غزل الصوف ،وهي المهنة التي كان والده يعتمد عليها([١]).وذكر (صالح مدني) ان الغزالي هو من أكبر فقهاء المتصوفة في الفقه والفلسفة وفي علم الكلام ،كما انه متصوف إشراقي ،والاستشراقية هي إحدى الصور ، التي تجد ان هنالك

[١] فرحان، محمد حلون : دراسات في فلسفة التربية،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل،ص٢٠٥

أشياء لايمكن من حيث المبدأ إن تعرف على الإطلاق . في مقارنته مع (الجنيد والحلاج والبسطامي وابن عربي ومن غيره من المتصوفة) ([٢]).

فالتصوف الذي إتخذه (الغزالي) والذي يعني طريقة سلوكية قوامها التقشف والزهد والتخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل ،لتزكي النفس وتنمو الروح ، وهو حالة نفسية يشعر بها المرء ، بأنه على اتصال بمبدأ الأعلى ([٣]).

إن التصوف والإعتكاف على قراءة القرآن الكريم والتأليف ،اخذوا معظم حياته ،فبعد اعتكافه لعشرة سنوات في التفرغ الى القراءة والتأليف والزهد والتصوف من اجل التقرب أكثر للمبادىء الربانية السامية عبر السمو العقلي ، وهذا ماميزه بين الفلاسفة المسلمين ،،إذ بين(مدني)أن جعله أرقى من نظر في المعرفة والشك في العصور الوسطى (الفلسفة ثلاثة عصور قديمة،وسيطة،حديثة ،فنظرية المعرفة لديه أرقى مما لدى أرسطو وأفلاطون ،ولم يكن في العصور الوسيطة أرقى من نظرية المعرفة والشك المنهجي من الغزالي)([٤]).حتى لنجده يتخذ من الشك طريقًا الى اليقين ،واليقين يعين إليه عن طريق الحدس في الظن والتخمين وتوهم /الحدس سرعة الانتقال في الفهم والاستنساخ،وانه المقدرة على فهم الحقيقة مباشرة دون استدلال منطقي تمهيدي ،وطريقته الصوفية الرياضية والروحانية المتقشفة المتسامية نحو الخالق هي اليقين المطلق من خلال العلم البرهاني ، والبرهان في منطق الغزالي بصفته قانونا يميز العلم اليقيني عما ليس يقينا ([٥])،وبعد اتخذ القياس وهي المقدمات معيارا للصدق في ان الكاذبة لم تنتج الصادقة وان الظنية لاتنتج اليقينية،إذ يقصد بالقياس هو البرهان المؤدي الى المعرفة العلمية ،أي بمعنى إدراك للمعرفة ذاتها ،شريطة برهنتها بمقدمات ضرورية.

([١])صالح ، مدني : الغزالي ومناهج الارتقاء من افلاطون الى ديكارت ،الموسوعة الصغيرة ،وزارة الثقافة والاعلام ،بغداد ،١٩٩١،ص٨.

([٢])صليبا،جميل : المعجم الفلسفي ،ج١،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٤،ص٢٨٢.

([٣]) صالح،مدني :الغزالي ومناهج الارتقاء ،المصدر السابق،ص٩٩.

([٤])الغزالي : مقاصد الفلسفة ،سلسلة ذخائر العرب (٢٩٩)تحقيق سليمان دنيا،دار المعارف ،مصر،١٩٦٠،ص٣٦.

وبالرغم من أن القياس طريقة مثلى لحصول المعرفة ،الا انه وصفها بالفاسدة لما يعتريها من تغيير "ان فسد صورة القياس تؤدي الى انتاج الكذب وعدم اليقين ،وان المطلب الأقصى والمحصل للعلم اليقيني هو البرهان "([٦]).

عليه قسم (الغزالي)البرهان الجمالي الى خمسة مقاييس :القياس البرهاني الذي تضمنته مقدمات مقاربة لليقين بلا شبه،والقياس الجدلي وهو الذي تكون مقدماته مقاربة لليقين مع إمكان الخطأ مع التدقيق في النظر. وكذلك القياس الخطابي في أن تكون المقدمات ظنية ظنا غالبا وتتسع لتقدير الخطأ ، أما القياس السوفسطائي وهو الذي لاظني، وإنما ملتبس يصور اليقينات ،لينتهي فيما بعد بالقياس الشعري الذي نعلم بمقدماته الكاذبة ولكن تميل اليها نفس المتخيل .([٧])

وهكذا قرر (الغزالي) في كتابه إحياء علوم الدين ،ان الجمال تناسب في الخلق وصفاء باللون فأنه يدرك بحاسة البصر وان كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو المرتبة وحسن الصفات والأخلاق ، وإرادة الخيرات لكافة الخلق ،وإفاضتها عليهم على الدوام فأنه يدرك بحاسة القلب.

وفي هذه الدراسة ، فأن الجمال يحتاج الى القياس ،والقياس الجمالي في مفهومه المنطقي يتألف من مقدمات يقينية صادقة ،لابد من طلبها والعمل على معرفة مدركها ،فيقول"لاخير ولاجمال ولامحبوب في العالم الا هو حسنة من حسنات الله ،وأثر من أثار كرمه ، وغرفة من بحر جوده ،سواء أدرك هذا الجمال بالحواس أم بالعقل ، فجمال الله سبحانه وتعالى أكمل الجمال "،إذ إن الشكل بداية التعرف ثم المجاهدة للوصول الى اليقين ،الذي لاينفك أن يصل الى الدرجة القطعية عبر الموازين الخمسة الآنفة الذكر([٨]).

لقد كان الشك سببا للارتقاء واظطرابا للمثابرة بالبحث في إيجاد الحلول حول صراع مصدره المحسوسات والعقليات (لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في

---

(١)العثمان،عبد الكريم : معيار العلم ،الدراسات النفسية عند المسلمين ، مكتبة وهبة ،القاهرة،١٩٦٢،ص٧٠

(٢)الغزالي :مقاصد الفلسفة، المصدر السابق ، ص١٠١-١٠٢

(٣) خليل ،بكري محمد : المنطق عند الغزالي ،ط١،مطبعة بيت الحكمة ،بغداد ،٢٠٠١،ص٥٤-٥٥

المحسوسات ...فالمحسوسات يحكم فيها حاكم الحس ،ويكذبه حاكم العقل تجربة تكذيبية لاسبيل الى مدافعته)([٩])،حيث الأدلة العقلية لم ترجح اليقين الى قلبه ،لان الدليل لايكون الا من العلوم ، فإذا كانت العلوم غير مسلم بها ، لم يكن الدليل منتجا ، فليس في المعرفة العقلية مايطرد الشك من النفس ([١٠]).

ويرى (الغزالي)أن النور الإلهي نور يقيني ،عن طريقه ينحسر الشك ،اذ قال:ان النور هو مفتاح أكثر المعارف ، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة .وحينما سئل رسول الله(ص)عن معنى الآية"فمن يرد الله ان يهد له يشرح صدره للإسلام"قال :هو نور يقذفه الله تعالى في القلب ،علامته التجافي عن دار الغرور والإنابة الى دار الخلود .كناية عن الابتعاد عن الدنيا ،كما ذكر(ص):أن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره ، فمن ذلك النور ينبغي ان يطلب الكشف ، وذلك النور ينبجس من النور الإلهي .

إن المتأمل للزخرفة الاسلامية ،يرى إنها صورة للفضيلة تكشف من خلالها عن صفات جميلة باطنة تتبين بحب الفنان المسلم الى العلم ،تتجاوز المظهر الخارجي والسطحي للاشياء ،وان الجمال جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس وجمال الصورة الباطنة المدرك بعين القلب ونور البصيرة .

ومن خلال النظرة الى الزخارف النباتية والهندسية والارابسك ـ النقش المعماري ،تتحول النظرة تلك الى مفتاح أو مدخل لإدراك الحقائق السامية ،وحينما نلتذ بالنظر الى الزهور والرياض ونقوش المساجد المزخرفة ،فأننا نبلغ لذة النفس في أن غاية الاشياء الإعتدال في الصورة الظاهرة وكمالها .

والجمال غير المادي هو مايبحث عنه (الغزالي) الذي يتناول القيم في الخير والحق وتطهير النفس والتقشف وكل مايقرب الإنسان من الجمال المطلق وقيمه

---

(١) الغزالي ، ابو حامد : المنقذ من الظلال ، تحقيق جميل ابراهيم حبيب،دار القادسية للطباعة،بغداد، ١٩٨٤،ص١٣

(٢)غالب ، مصطفى : في سبيل موسوعة فلسفي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٩٨،ص٤٩.

السامية([١١]).فالفنان المسلم في مجال الزخرفة ، يستوحي بحثه من معراج الصعود ،إذ أخذ إستحكامه للمتلقي من المفردة الواحدة الى الاطلاق ،في تمثيل الدائرة بوصفها غير متناهية ولاحدود لها تبدأ من حيث تنتهي .

وشكل الدائرة الهندسي ،رمز تعبيري عن الكلية اللانهائية ،وقاعدة تمثل الكون من حيث علاقته بالقوى الإلهية، وطبقا لرمزية الدائرة، فأنها تعبر عن وحدة المتضادات،ووحدة العالم الشخصي الزائل مع العالم المطلق السرمدي،وإنها وحدة في نهاية المطاف تمثل غاية الدين الاسلامي وهدفه([١٢])،وبالتالي أن وحدة الدائرة وحدة للروح وانصهار في عالم المطلق .تمثل الإشراق النوراني والروحاني ،والعشق المطلق المختلط بين الهندسة والروح وبين التنزيه والتشخيص.

المبحث الثاني

رسم الأشكال الزخرفية

تتألف الزخرفة الاسلامية في جميع أشكالها المختلفة والمتعددة ، البسيطة منها والاكثر تعقيدا ، من وحدة هندسية تتكرر بانتظام الى مالانهاية ، فيتشكل عن حركة التكرار ،هذه السطوح الزخرفية أو ما يعرف بهيكل الزخرفة المتكامل.

ورغم ان هذه الزخارف قد تبدو معقدة ، الا إنها بالإمكان إدراك بساطتها من خلال التوصل الى أساس تركيبها الاولي ،أي من خلال التعرف الى وحدة كل الزخرفة وكيفية تكونها.

في البدء تتكون الزخرفة الاسلامية من النقطة ومن تجميع النقاط يتكون الخط المستقيم الذي يمثل المبادىء الاساسية للزخرفة ويمثل نصف قطر الدائرة ، أما الخط المنحني أي بداية محيط الدائرة فيتشكل من انحراف اتجاه الخط المستقيم

---

(١) اوفسنانيكوف وسمير نوفا : موجز نظريات الجمالية،تعريب:باسم السقا،دار الفارابي للترجمة،بيروت،،بلا،ص٤٩

(٢) د.لطفي ،صفا : الغزالي،محاضرات القيت على طلبة الدكتوراه،٢٠٠٩/٤/٢٢،كلية الفنون،جامعة بابل

ويمكن وضع المثلث والمربع في داخل الدائرة ومن ثم المخمس والمسدس والمسبع والمثمن الخ ، من خلال زمنية رسم الاشكال الهندسية أو مضاعفاتها داخل محيط الدائرة ،لتأخذ الوحدة الزخرفية شكلها الكامل فيما بعد ، وعن طريق التكرار في رسم الوحدة بأسلوب منتظم على سطح مايتكون من الرسم يكون الزخرفة .

انطلاقا من ذلك نتناول مفهوم الجمال في رسم الزخارف الهندسية،و يتم تقديم كل منها في أربعة مراحل :

أولا:الشكل الزخرفي المتكامل

ثانيا:رسم الزخرفة

ثالثا:صورة النموذج الزخرفي

رابعا:رسم تنقيطي للزخرفة

خطوات رسم الزخرفة

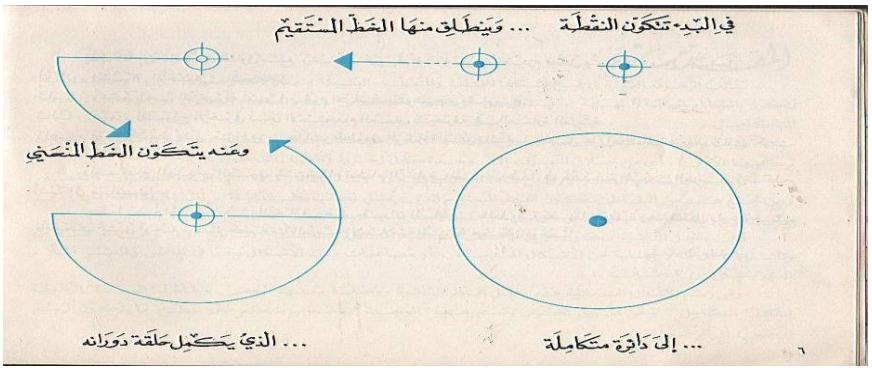

الخطوة الاولى

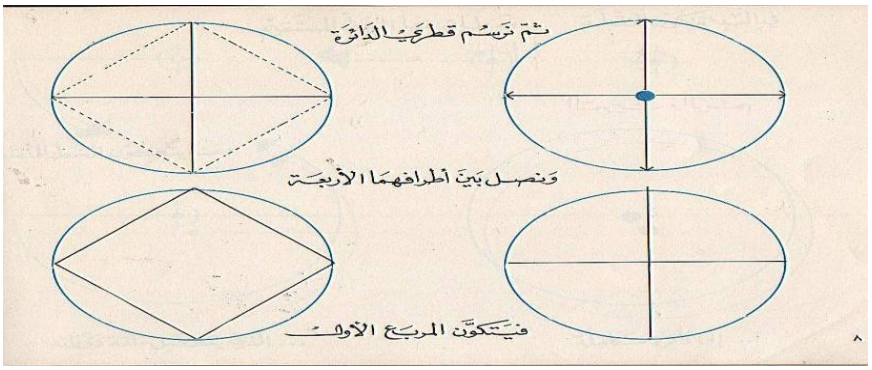

الخطوة الثانية

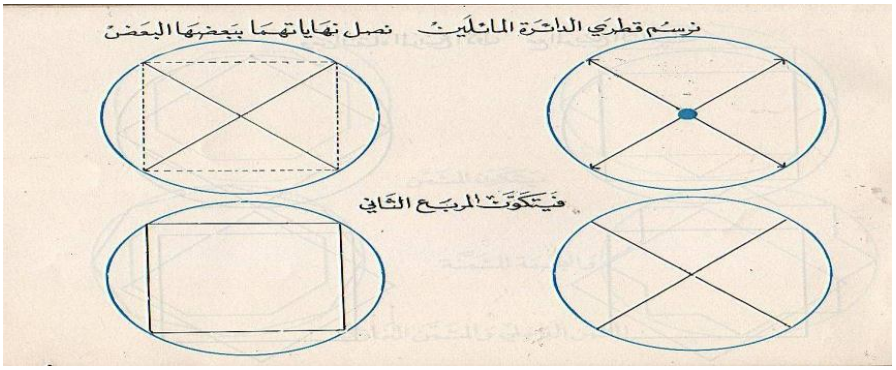

الخطوة الثالثة

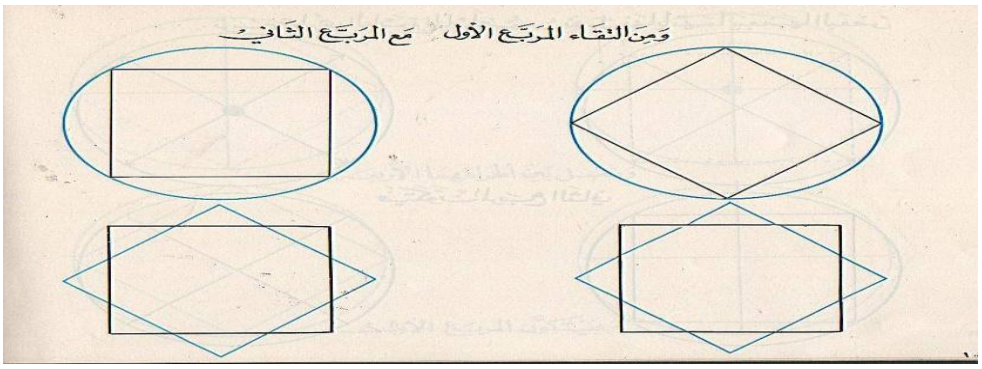

الخطوة الرابعة

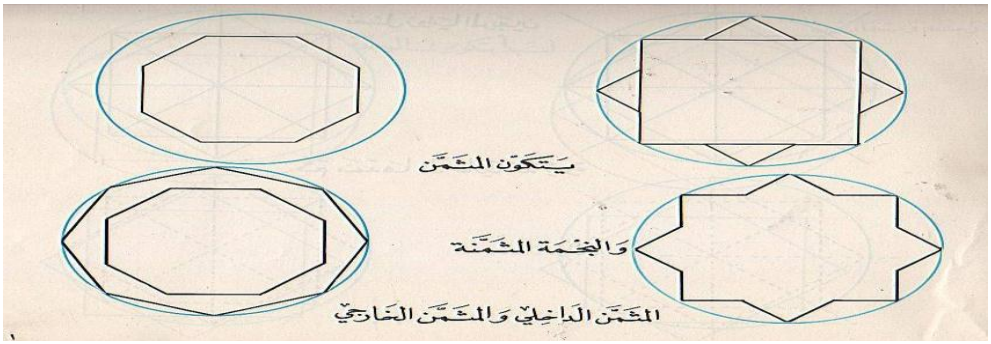

الخطوة الخامسة

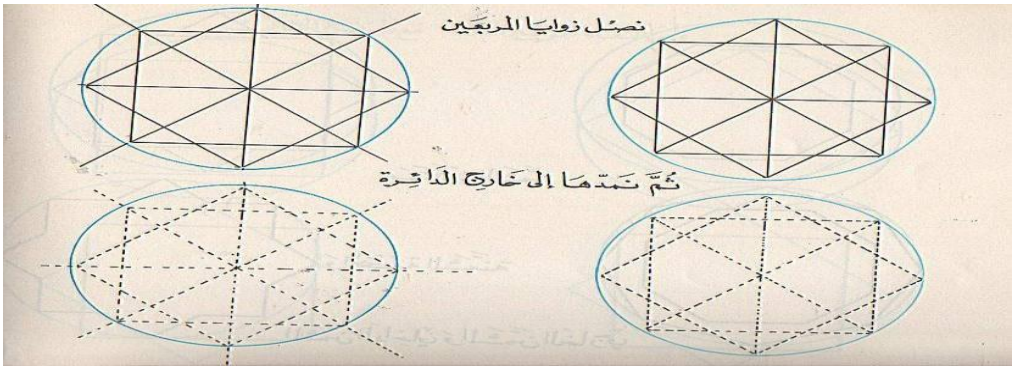

الخطوة السادسة

(٩)

تمارين للتطبيق

التمرين الاول

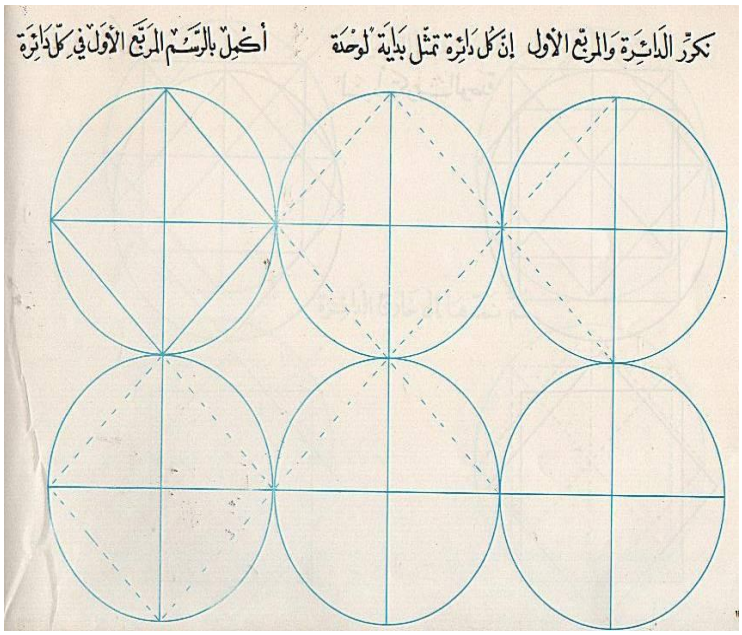

التمرين الثاني

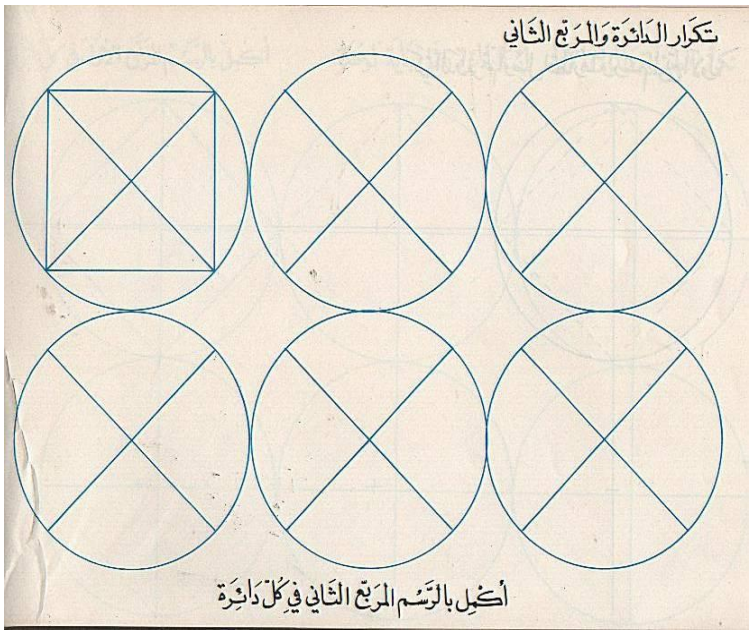

التمرين الثالث

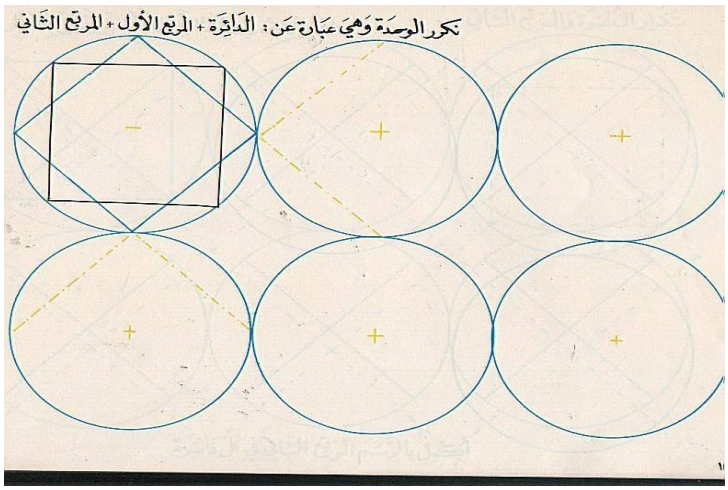

التمرين الرابع

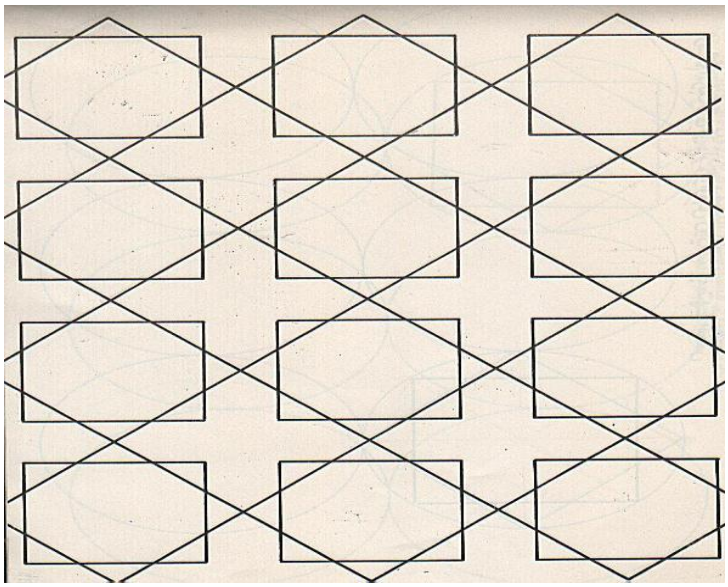

النتائـــــــــــــــــــــج

ممـا تقدم ومـن خـلال الدراسـة للنـواحي الفكريـة والفنيـة التقنيـة اسـتندنا الـى مايلي:

١. **لقد أثرى الفكر الاسلامي ومنـه المتصوف جل ماأنتجـه الفنـان المسلم عبر اختزال للطبيعة في محاولة الى تجريدها بصورة واقعية.**
٢. **إن إستلهام الزخرفـة مـاهو الا مـوروث حضـاري قـديم ومعاصـر فـي الفنـون التطبيقية ولاسيما التصميم .**
٣. **تحقيق العملية الابداعية إثراء فني يبرز دوره باستمرار المنجز الاسلامي.**
٤. **إن إستخدام الوسـائل فـي اخـراج التصـاميم يسـتند الـى الفكـر المتقشـف الـدال على طبيعة الطقوس والمعتقدات .**
٥. **مثلت الزخارف رموزا تراثية برزت بشكل واضح في الفنون الاسلامية كافة ومنـها العمارة والأزياء ،وفنون التشكيل (الرسم،النحت، ،التصميم).**
٦. **اسـتخدام الطـابع المحلـي لـدى دول العـرب فـي مشـرقها ومغربهـا مـن حيـث التأثر والتأثير.**

التوصيات والمقترحات

١.إعداد دور للتصميم الزخرفي تعنـى بتـدريس وتطبيـق الزخـارف خـارج نطـاق التعليم الاكاديمي المتمثل بالمعاهد والكليات (مدارس وزارة الثقافة والاعلام).

٢. إبراز الدور الاعلامي في إحياء الفكر الإسلامي الفني وتسـويقه بطـرق نـافعة توجه الفكر الحضاري للتصميم الزخرفي عبر (الخط والزخرفة)

٣.فـتح كليـة للفنـون الجميلـة فـي كـربلاء المقدسـة ،إسـوة بكليـات فنـون (الكوفه،بغداد،بابل).

٤.الاهتمام بالناحية الوظيفية وبيان ذلك لطلبـة التربيـة والتعليم مـع تعزيـز الثقـة بإيجاد كادر محلي يعنى بخصوصية كربلاء المقدسة.

٥.تشييد النصب الزخرفية الحروفية ووضعها في الساحات والحدائق ،من اجل إبراز خصوصية الفن الكتابي(الحروفي).

مصادر البحث

* اوفسنانيكووف وسمير نوفا: موجز نظريات الجمالية،تعريب:باسم السقا،دار الفارابي،ب.ت

* خليل ،بكري محمد : المنطق عند الغزالي ،ط١،مطبعة بيت الحكمة ،بغداد ،ب.ت

* صالح ، مدني : الغزالي ومناهج الارتقاء من افلاطون الى ديكارت ،الموسوعة الصغيرة ،وزارة الثقافة والاعلام ،بغداد ،١٩٩١.

* صليبا،جميل : المعجم الفلسفي ،ج١،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٤

* العثمان،عبد الكريم : معيار العلم ،الدراسات النفسية عند المسلمين ، مكتبة وهبة ،القاهرة،١٩٦٢

* غالب ، مصطفى : في سبيل موسوعة فلسفية ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ،

* الغزالي : مقاصد الفلسفة ،سلسلة ذخائر العرب (٢٩٩)تحقيق سليمان دنيا،دار المعارف ،مصر،١٩٦٠.

* الغزالي ، ابو حامد : المنقذ من الظلال ، تحقيق جميل ابراهيم حبيب،دار القادسية للطباعة،بغداد،١٩٨٤

* فرحان، محمد حلون : دراسات في فلسفة التربية،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ،٢٠٠١

* د.لطفي ،صفا : الغزالي،محاضرات القيت على طلبة الدكتوراه،٢٠٠٩/٤/٢٢،كلية الفنون،جامعة بابل

The Aesthetic Application In Islamic Geometric Decoration

By
Hazim Aboudi Kareem

2011- 2010